انتفاضة محمد الغرنوق جنوب فرندة عام 1854 ضد الاحتلال الفرنسي
دراسة من خلال الأرشيف والكتابات الفرنسية
بن صحراوي كمال وزكريا جرادي، المجلد 3 العدد 2 سبتمبر 2020،
ص ص: 293- 327

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

انتفاضة محمد الغرنوق جنوب فرندة عام 1854 ضد الاحتلال الفرنسي
دراسة من خلال الأرشيف والكتابات الفرنسية

The uprising of Mohamed el Gharnouk south of Frenda in 1854
study based on french archives and writings

الدكتور كمال بن صحراوي، جامعة تيارت
Kamel.bensahraoui@univ-tiaret.dz

زكريا جرادي، باحث في التاريخ
djeradizakaria@gmail.com

تاريخ الإرسال:15 /2020/09 تاريخ القبول: 2020/09/19 تاريخ النشر: 2020/09/30

ملخص:

يندرج هذا المقال ضمن الدراسات المونوغرافية، ويرمي إلى التعريف بمقاومة شعبية هامة شهدتها منطقة جنوب فرندة ضد الاستعمار الفرنسي شهر ماي عام 1854 تحت قيادة محمد بن عبد الله الغرنوق الذي ينتمي إلى إحدى قبائل الأحرار. وقد تمكن من تعبئة مجمل قبائل جنوب فرندة، كما ربط علاقات أهلته إلى المضي في مشروعه الجهادي على أن تلتحق به بقية القبائل في فترة لاحقة.

غير أن السلطة الفرنسية تمكنت بشبكتها التجسسية الواسعة وقياداتها الأهلية النشطة من كشف هذا المشروع ووأده في مهده من خلال تعبئة طاقاتها البشرية الهائلة واستغلال إمكاناتها المادية القوية، وهو ما أدى في النهاية إلى إلحاق الضرر بالقاعدة الشعبية التي كانت قد عولت عليها المقاومة، خصوصا من خلال عقوبة التهجير الجماعي إلى جهة تيارت، والنفي خارج الجزائر لاسيما إلى سانت مارغريت.

وتتمحور إشكالية الموضوع حول ظروف هذه المقاومة وعلاقاتها على مستوى الغرب الجزائري جهتي سعيدة ومعسكر، ثم تأثيراتها على الإدارة الفرنسية وعلى قبائل المنطقة خصوصا قبيلة الحسينات التي احتضنت الثائر المذكور ووفرت له الأرضية البشرية التي اعتمد عليها عند انطلاق مشروعه.

من النتائج الكبرى المتوصل إليها في نهاية هذه الدراسة:

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

شمولية المقاومات الشعبية الجزائرية في القرن التاسع عشر، حيث لم تتأخر أي منطقة عن اللحاق بركب المقاومة.

التنسيق العضوي بين المقاومات، وهو ما يتضح من خلال تحرك غريس وزدامة مع تحرك الغرنوق، وقد عملت هذه الخاصية على تعطيل المشروع الاستعماري نحو الجنوب مدة زمنية ليست باليسيرة.

ضخامة الجهد البشري المبذول في المقاومة ابتداء وفي تحمل نتائجها لاحقا، وهذا ما يتبين من خلال العقوبات القاسية التي سلطتها الإدارة الفرنسية على قبائل المنطقة خاصة على الحسينات.

الكلمات المفتاحية: مقاومة؛ شعبية؛ الغرنوق؛ الحسينات؛ الأحرار؛ جنوب فرندة.

Abstract :

This article is a monographic study, and aims to introduce a significant popular resistance that took place in the southern region of Frenda against the French colonialism in May 1854 under the leadership of Mohammad ben Abdellah El-Garnouk, who belongs to the Aharar tribes.

El-Garnouk succeeded to mobilize all the tribes in south of Frenda, and create links allowing him to continue his jihad project from the Hassinats, the rest of the tribes would join him later.

However, the French authority, with its vast spy network was able to uncover this project and kill it in its cradle by mobilizing its enormous human resources and exploiting its strong material, which ultimately led to to undermine the popular base on which the resistance was based, in particular through punishment. The expulsion of the tribe towards Tiaret, and exile outside Algeria, in particular towards Sainte Marguerite.

The issue of this study revolves around the conditions of this resistance and its relations in western Algeria, then its effects on the French administration and on all the tribes of the region, in particular the Hassinats who welcomed the leader of this resistance, and provided them with the human potential on which they relied for the launch of their project.

Among the main results obtained from this study:

The spread of the Algerian popular resistance in the 19th century throughout the country

Leaders's Coordination in uprisings, which has delayed the French expansion to the south for years.

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

The magnitude of the human effort made, first to carry out military action against the French, and then to endure the severe sanctions that the French administration imposed on the tribes of the region, in particular the Hassinats.

Key words: Algerian; resistance, 19th centry, Frenda, El-Gharnouk, Hassinats, Harrars.

1. مقدمة:

كانت جهة جنوب فرندة في الظاهر هادئة للغاية قبيل ماي من عام 1854 حسب تقارير الإدارة الفرنسية، حيث يظهر الأهالي منشغلين بمصالحهم ((كانت فرندة حينها تابعة للمكتب العربي بتيارت التي تتبع بدورها نيابة عمالة وهران بمعسكر (Subdivision de Mascara)). غير أن واحدا من أولاد زيان الشراقة قرر تحريك الساكنة في هذه الجهة والجهات المجاورة وتعبئتها لصالح المقاومة. وقد تكللت محاولته مبدئيا بالنجاح حين تمكن من تجنيد مجموعة من المقاتلين لا ينتمون إلى قبيلة واحدة فقط بل إلى التكتل المعروف بقبائل الأحرار ومجاوريه.

وحدثت المواجهة، واستطاع الفرنسيون وأد الحركة في مهدها، وشكل اختلال ميزان القوى عاملا هاما في هذا، كما كان للقيادات الأهلية التابعة للقوات الفرنسية دور كبير في كشف خطة الغرنوق وإلحاق الهزيمة به.

وقد دعتنا إلى دراسة هذا الموضوع جِدّتُهُ، فهو لم يحظ - في حدود علمنا - بأي دراسة سابقة، كما أن الاهتمام بالدراسات المونوغرافية صار اليوم توجها قويا يحكم أعمال الباحثين. ذلك أن كثيرا من المناطق في الجزائر خصوصا خلال القرن 19 لم تأخذ بعدُ حقها من الدراسة والبحث، وهو ما يضع أبناءها تحت طائلة المسؤولية الأخلاقية التي تحتم عليهم الاهتمام بها وبذل المزيد من الجهود للتعريف بها وبتاريخها.

وتتمحور إشكالية الموضوع حول ظروف هذه المقاومة وعلاقاتها على مستوى الغرب الجزائري جهتي سعيدة ومعسكر، ثم تأثيراتها على الإدارة الفرنسية وعلى قبائل المنطقة خصوصا قبيلة الحسينات التي احتضنت الثائر المذكور ووفرت له الأرضية البشرية التي اعتمد عليها عند انطلاق مشروعه.

من النتائج الكبرى المتوصل إليها في نهاية هذه الدراسة:

- الوعي السياسي الذي امتلكه الغرنوق - بشهادة الفرنسيين - وهو ما يدحض اتهاماتهم للمقاومين بالدروشة والشعوذة والمغامرات غير المحسوبة.

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

- شدة العقوبات التي سُلطت على قبائل المنطقة خصوصا قبيلة الحسينات التي مثلت الحاضنة الأولى للغرنوق وانتفاضته. لاسيما عقوبتا التهجير والتفريق الاجتماعي حيث كان النفي مصير كثير من أبناء هذه القبائل.
- دور القيادات الأهلية المحلية في إلحاق الهزيمة بالمقاومة، وهذا ما يتضح على الخصوص وبشدة من خلال الجهود المضنية التي بذلها خليفة آغا تيارت وباش آغا فرندة.

جدير بالملاحظة أننا حاولنا تسهيل الأمر على القارئ الذي يريد العودة إلى المادة الأرشيفية التي اعتمدنا عليها في إعداد هذا المقال، وأغلبها من مركز أرشيف ما وراء البحار بأكس أونبروفونس (ANOM. Aix-en-Provence) وذلك بذكر المواقع التي تحوي هذه المادة في كل مرة، تقديرا منا لصعوبة إيجادها لو عملنا بالطريقة التقليدية القائمة على الإشارة الجزئية إلى المرجع المستخدم سابقا. ثم زدنا هذا الأمر إيضاحا في قائمة البيبليوغرافيا بإدراج نوع المادة قبل الموقع الإلكتروني الذي يوفرها على الشبكة العنكبوتية.

2. نبذة عن الغرنوق:

يقدم الأوربيون[1] الغرنوق[2] باسم محمد بن عبد الله، من بني لياد إحدى قبائل الأحرار[3]، لكننا لا نعرف قبيلة بهذا الاسم ضمن هذه القبائل. أما المرشد الجزائري فيذكر قبيلة بني ليان[4]، وهي أيضا غير

1- منهم مثلا:

Jules Labbé, (1865), Un mois dans le Sahara, Lille, p11

ولأجل تسهيل عملية البحث ننبه إلى أن كلمة الغرنوق تنتهي عند كتابتها بالفرنسية بحرف g أحيانا وحرف k أحيانا أخرى كما تنتهي في بعض المصادر بحرفي gh.

2- نسبة إلى طائر الغرنوق المائي الذي كان موجودا بالمنطقة المعنية بالبحث حتى سبعينيات القرن العشرين لكنه اختفى بعد ذلك. وهو الآن يعيش بالجزائر بأعداد قليلة، ومن ذلك ما نجده في عقلة الدايرة غرب مدينة النعامة، حيث تم إحصاء 250 طائرا خلال شتاء 2019. يراجع:

النعامة: تقلص الطيور المائية المهاجرة بالمنطقة الرطبة عقلة الدايرة، مقال صحفي لوكالة الأنباء الجزائرية
http://www.aps.dz/ar/regions/66581-2019-02-05-16-44-57 consulté le 16/08/2020

3- مجموعة من القبائل مضاربها الحالية جنوب تيارت من السوقر حتى غرب الرصفة، قيل عنهم في أحد مجالس الأمير عبد القادر: "نصرتهم كاملة ونعرتهم للخير شاملة" حسب ما ذكر المزاري.

ابن عودة المزاري، (2009) طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تحقيق ودراسة يحيى بوعزيز، ج 2، الجزائر: دار البصائر للنشر والتوزيع، طبعة خاصة، ص 116.

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

معروفة. وأما تقرير المكاتب العربية لوهران[5] فيحسم هذا الخلاف لصالح قبيلة أولاد زيان من الأحرار، حيث يتضح من خلال التدقيق في الخطوط التي كتبت بها هذه التقارير أن حرف Z فُهم خطأ على أنه حرف اللام.

وهذه الالتباسات بشأن هذا الموضوع كثيرة، فقد نقلت جريدة المبشر مثلا وهي "لسان حال السلطة الفرنسية بالجزائر" في خضم معالجتها لهذه القضية اسم قبائل الأحرار خطأ حيث سمتها "حراس" وسمت الحسينات[6] "الحسنات"، كما ذكرت زدامة أخوال الغرنوق باسم باماس Bamas، وتلك أيضا قراءة خاطئة لاسمِهِم الذي كتبه تقرير المكتب العربي بشكل صحيح Sdamas لكنه غير واضح باعتباره قد خُط باليد، حيث تداخل حرف S مع حرف D فظهرا كأنهما حرف واحد هو B[7].

والغرنوق هو الشريف محمد بن عبد الله، أو "الشريف المزيف" (Faux Cherif) كما ينعته الفرنسيون. وقد سمى نفسه "سلطان العامة" و"مولى الساعة"[8] وهذه كلها تسميات اشترك فيها مع

ويتشكل الأحرار من قبائل كثيرة منها أولاد سيدي خالد الشراقة، أولاد الزواي، أولاد بوعفيف، الكعابرة، الشاوية، أولاد عزيز، أولاد بلحصين، أولاد سيدي خالد الغرابة، أولاد زيان الشراقة، أولاد زيان الغرابة، أولاد حدو، الدهالسة، الغوادي، الحسينات، أولاد جراد. وقد قدّر كاريت عددهم في أربعينيات ق 19م بحوالي 26000 نسمة موزعين بين الأحرار الشراقة والأحرار الغرابة.

- Fabre, (1902), «Monographie de la commune mixte indigène de Tiaret-Aflou», Société de Géographie et d'Archéologie de la province d'Oran, T 22, p 262.

- E, Carette, sans date, Origines et migrations des principales tribus de l'Algérie, Paris, Imprimerie Impériale, p 476.

4 - Le Moniteur Algérien, N 1334, 25 Mai 1854, P06

5 - Rapports périodiques, Bureaux arabes d'Oranie, ANOM/GGA 1JJ 400
http://anom.archivesnationales.culture.gouv.fr/ark:/61561/jh328f141v consulté le 19/08/2020

6- دوار تابع لبلدية فرندة المختلطة، دائرة معسكر، عمالة وهران. عدد أفراده عام 1903 كان 275 نسمة، مساحة أرضه 6390 هكتارا، تقوم حياة أبنائه على زراعة الحبوب وتربية الأغنام والأبقار والخيول.
Dictionnaire des communes de l'Algérie, villes, villages, hameaux, douars, postes militaires, bordjs, oasis, caravansérails, mines, carrières, sources thermales et minérales, Alger, Pierre Fontana, 1903, p93
أما مضارب الحسينات أيام هذه الانتفاضة فكانت جنوب فرندة، غرب عين كرمس الحالية وفي إطارها الإداري، حيث نقرأ في تقرير العقوبات مجمل أراضي الحسينات التي صودرت ومنها دير الكاف وسيدي عبيد.

7- المبشر، ورود الأخبار من جميع الأقطار، العدد 162، 30 ماي 1854

8- المبشر، مرجع سابق. العدد 162

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

مقاومين آخرين، فبومعزة مثلا عُرف بمولى الساعة[9]، وكان يدعو الناس إلى طاعة محمد بن عبد الله، وثائر ورقلة أيضا حمل اسم محمد بن عبد الله، كما أن الثائر محمد الهاشمي المعروف ببوعود سمى نفسه محمد ابن عبد الله[10]، وفي زمان الغرنوق ذاته وليس بعيدا عن مضارب الحسينات نجد الحاج محمد بن عبد الله بن جلول الذي سنشير إليه لاحقا. ومن هنا فإن كثيرا من المقاومين حملوا هذا الاسم إما تبركا بمحمد صلى الله عليه وسلم وإما تأسيا بمقاومين آخرين، وإما إيهاما للبسطاء بادعاء النسب الشريف حتى يتبعوهم فتنجح مهامهم الجهادية، وإما تمويها على الفرنسيين لئلا يلحقوا الأذى بأهاليهم وقبائلهم في إطار العقوبة الجماعية التي كانوا يتبنونها[11].

سنعتمد على تقرير النقيب سيريز[12] Cérez الذي بعث به إلى حاكم دائرة تيارت حول أحداث 12 ماي، وهو تقرير رسمي لكن جاء ذكره ضمن كتاب الرحلة التي قام بها Jules Labbé في المنطقة وتزامنت مع قيام الانتفاضة[13]، وذلك بحكم الصداقة التي كانت بين هذا النقيب وبين مؤلف الكتاب.

يشير التقرير إلى أن الغرنوق من أولاد زيان الشراقة، وأن عائلته كانت يوم الانتفاضة لا تزال ضمن هذه القبيلة. وأنه ولد أعمى. وهذه الملاحظة يشترك فيها مع تقرير المكاتب العربية لوهران الذي يذكر أن الشريف كان يُوهم أتباعه بقدرته على النظر متى شاء[14]، أما تقرير المكتب العربي لدائرة معسكر فينعته "بالطالب الأعمى"[15].

9 - Martinval, (E. de), (1847) Bou-Maza, scheriff des Ouled-Yonnes, prisonnier des Français, Notice biographique, Paris, Imprimerie de Bautruche, P 04

10 - Robin, (1870) Histoire d'un Cherif de la Grande Kabylie, 1870, p. 349

11 - كمال بن صحراوي، (2020) معجم المقاومة الجزائرية (1830-1850) عمّان: ألفادوك، ص 49

12- Jean Baptiste Cérez (1820-1889) رئيس المكتب العربي بتيارت (1854-1855) ومستغانم (1855-1857) ترقى في الجيش الفرنسي حتى بلغ رتبة جنرال، وشارك في الحملة الفرنسية إلى سوريا عام 1860 في قضية الدروز والمسيحيين. وقد أبان خلال عمله في الجزائر عن خبرة كبيرة في مجال الطوبوغرافيا ومعرفة القبائل، لذلك تمت ترقيته حتى أصبح حاكما بالنيابة لعمالة وهران ثم نائبا لحاكمها على معسكر. وشارك في 1871 في دحر المقاومة الشعبية في بلاد القبائل. راجع صورته في الملاحق.

13 - Jules Labbé, Op.cit. p266 et suite

14 - Rapports périodiques, Bureaux arabes d'Oranie, ANOM/GGA 1JJ 400
http://anom.archivesnationales.culture.gouv.fr/ark:/61561/jh328f141v consulté le 19/08/2020

15 - Rapports périodiques, Bureaux arabes de Mascara, ANOM/GGA 30JJ 330
http://anom.archivesnationales.culture.gouv.fr/ark:/61561/jh328iidke consulté le 20/08/2020

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

لكن هذه القضية تحتاج منا إلى وقفة. إذ كيف يعقل أن يتولى أعمى قيادة مقاومة؟ وكيف له أن يقاتل وهو على هذه الحالة؟ هل تعمد الغرنوق التظاهر بالعمى حتى لا تنتبه إليه السلطة الفرنسية؟ أم لعله أشاع ذلك بين الناس ليصل إلى مبتغاه؟ لكننا نتساءل من جهة أخرى كيف خفيَ أمره زمنا طويلا؟ وكيف أقرت كل التقارير الفرنسية بهذا العمى لو لم يكن حقيقة؟ ثم كيف يبرر الفرنسيون أنفسهم هذه الظاهرة وهم الذين اقتسموا متاعه بعد فشل مقاومته فكانت رمحه من نصيب الجنرال بيليسيي بعد أن أرسلت إليه ؟[16]

قبل الانتفاضة بحوالي 15 عاما غادر الغرنوق عائلته وعاش حياة الغبن متنقلا من جهة إلى أخرى. فقد عاش بين الحشم وقصد أولاد عباس فأمضى زمنا بينهم. ثم بدأ حرفة المدح في الأسواق والتجمعات يرافقه صاحب "البندير". وقد جاء دور زدامة ليعيش لديها الغرنوق وقتا ثم بني لنصار ومحي الدين وأولاد بوزيد، وعاش أحيانا لدى الحسينات والغوادي.

تزوج محمد بن عبد الله من زدامة لكن زوجته ما لبثت أن توفيت، فانتقل إلى الحسينات، وحاول أن يعيش بينهم دون أن يلفت النظر إليه، واكتفى بحرفة المداح، لكن علاقاته توسعت تدريجيا، وصار يستخدم القصائد والحكايات لتوعية الناس بضرورة تغيير الواقع المر الذي يعيشونه.

كان مع الغرنوق مساعدان أحدهما من أولاد عباس يقال له يحيى والثاني يسمى ميلود ولد البرج وهو من زدامة. وابتداء من خريف 1853 أعلن في الناس أنه شريف، وتزوج ابنة أحد الحسينات وهو الطيب بن قدور بعد تدخل قوي من قايد هذه القبيلة محمد بن علي بعد أن صار من الذين وقعوا تدريجيا تحت تأثيره.

من ضمن نشاطات الغرنوق لدى الحسينات جمع الزيارة، وكان تقديمها آنذاك من مظاهر تأثر الناس بدعوة المرابط وقابلية اتّبَاعه، فقد توالى قدوم القبائل على الشريف تطلب رضاه. ومن هؤلاء: الغوادي، أولاد زيان الغرابة، الدهالسة، أولاد سيدي بوزيد بتوغزوت، الحوارث، بني لنصار، زدامة، الجبلية، أولاد براهيم، وأولاد خالد.

وحين انتقلت قبيلة الحسينات إلى الجنوب قاصدة "الشط" للبحث عن الكلأ سمح القايد للغرنوق بالبقاء في مضارب القبيلة حتى عودتها، وهذا ما استغله لاستقبال الناس وتكوين الأتباع وتعيين الشواش وبعض الفرسان التابعين له. وحين عادت القبيلة إلى مضاربها أعلن أنه "مول الساعة" المبعوث من السماء لتخليص الناس من الهيمنة الفرنسية.

16 - - Jules Labbé, Op.cit. p277

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

3. التحضير للانتفاضة:

لنستعن بتقرير المكتب العربي بسعيدة[17] حتى نتتبع الغرنوق ضمن جولة ستقوده نحو الغرب، ولم تكن تقارير الإدارة الفرنسية الأخرى لتغفل عنه، لذلك سنجمع بين الأسماء التي وردت هنا وهناك.

في الأيام الأولى لشهر ماي انتقل الغرنوق مع زوجته من الحسينات إلى دوار المغاولية بقبيلة الغوادي (الأحرار) حيث أمضى عندهم ليلة واحدة، وتوقف في اليوم الموالي عند صديقه الحميم المسمى الشولي بلمكي وهو من دوي حسن (سعيدة)، وكان يومها مقيما عند الغوادي أيضا، ويقال عند أولاد سي علي بن عامر. وكان الغرنوق في هذه الجولة قاصدا حمامات أولاد خالد، ومعه زوجته ووالداها، ورفيقه يحيى.

في خيمة معزولة من خيام الغوادي هي خيمة بن عبد الله ولد الشيخ، أمضى الغرنوق ليلة ليست كبقية الليالي، حيث عقد اجتماعا هاما. وحين وصل إلى الحمامات كثرت اجتماعاته التي أقر الفرنسيون فيما بعد بعدم تمكنهم من معرفة ما جرى فيها، مع إشارتهم إلى أن النساء تم إبعادهن تماما عن هذه الاجتماعات خصوصا ذاك الذي حضره صديق الغرنوق الحميم المسمى "بلحد"[18]. فهل هذه إشارة إلى دور بعض هؤلاء النسوة في نقل أخبار الغرنوق وأصحابه إلى الجواسيس الذين ينقلونها بدورهم إلى الفرنسيين ؟

بعد ذلك ترك الغرنوق زوجته عند أولاد خالد واتجه بصحبة صهره واثنين من أتباعه إلى الغابة حيث اجتمع بأفراد كثيرين من أولاد خالد، الحساسنة الغرابة، أولاد براهيم والرجل الخطير المسمى بلحاج بن سحاب من أولاد خالد الشراقة، وكان هذا الاجتماع هو الأرضية التي سيبني عليها حركته بعد أيام قليلة.

4. جهاز الاستعلامات:

لم يكن ممكنا القيام بانتفاضة دون جهاز استعلام قوي يرصد حركة الفرنسيين، وقد أورد صاحب كتاب "شهر في الصحراء" خبرا عن "جواسيس عرب" كانوا يتبعونه ومن معه، وقد نعتهم بالشوافة.

أما القائم بمهمة الاستعلام في مشروع الغرنوق فهو بوعلام بن براهيم، من قبيلة الغوادي، وهو الذي تولى أمر متابعة النقيب سيرز والاتصال المستمر مع الشريف لإبلاغه بخط سيره عند العودة من

17 - Rapports périodiques, Bureaux arabes de Saida, ANOM/GGA 36JJ 1
anom.archivesnationales.culture.gouv.fr/ark:/61561/jh328lnekn consulté le 20/08/2020
18 - Jules Labbé, Op.cit. p268

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

جبال العمور. وقد ركز عليه هذا النقيب في تقريره[19] حتى قال عنه إنه من أشد المتعصبين خطرا، وإنه لا يزال يرجو الالتحاق بثائر آخر إن وُجد. وإنه أيضا كان على يقين تام من موت الفرنسيين بما فيهم هذا النقيب وهو يرتب لدفعهم نحو الغرنوق.

وبعد ألقي عليه القبض قبل المعركة التي دارت رحاها يوم 12 ماي 1854 اقتيد بعدها بصحبة الغرنوق إلى تيارت وتكفل الرائد ميكو Miqueux باستجوابه، وقد أقر بأسماء الذين كانوا مع الشريف في جبل الناظور باستثناء الثوار الخمسة الذين ينتمون إلى قبيلته[20]. وليس معنى ذلك أن الفرنسيين تركوه، فالتعذيب رافق هذه القضية بشكل كبير بهدف الحصول على المعلومات الضرورية لمتابعتها.

والواقع أن الفرنسيين ألحقوا تهمة التجسس كلها ببوعلام ولد براهيم، بينما كانوا يشكون سابقا في عناصر من أولاد سيدي خالد، ثم كاد يثبت لديهم تورط شخص يقال له الصافي بن النجادي[21]، وهذه الاحتمالات كلها تجعلنا نقف عند فرضية توسيع الغرنوق لشبكته التجسسية.

5. انتماء الغرنوق:

يقول الفرنسيون إنهم اكتشفوا انتماء الغرنوق إلى درقاوة من خلال رمحه وثيابه التي كان ظاهرها رثا والجزء الموالي منها للجسد أنيقا، ومن خلال مسبحته، كما تحدثوا أيضا عن سيف كان مع أحد أتباعه وقد زُيّن على طريقة درقاوة![22] ولعل هذا الطرح حول انتماء الغرنوق الطرقي يتعزز بتزامن المحاولة التي قام بها زعيم درقاوة الحاج محمد بن جلول انطلاقا من غريس باتجاه جهة سعيدة لجمع الأنصار.

6. الانتفاضة:

يذكر تقرير المكتب العربي لتيارت أنها دائرة عاشت في الفترة الأخيرة حالة من الهدوء حتى بداية ماي 1854، لكن التقارير التي رفعها قياد كل من أولاد زيان الغرابة والغوادي والدهالسة نبهت إلى أن المنطقة بدأت تعرف تحولا كبيرا. فقد كتب هؤلاء بتاريخ 10 من الشهر المذكور أن رجلا يقال له محمد الغرنوق يزرع "بذور الفتنة" بين أبناء قبيلة الحسينات وأن أناسا كثيرين يتصلون به

19 - Jules Labbé, Ibid. p272

20 - Division d'Oran / Correspondance avec le Gouverneur général et le 19e corps d'armée à Alger, GGA 1JJ 10 http://anom.archivesnationales.culture.gouv.fr/ark:/61561/jh328iccu consulté le 21/08/2020

21 - - Jules Labbé, Op.cit. p270

22 - Jules Labbé, Ibid. p265

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

ويقدمون إليه "الزيارة". وقد نبه هؤلاء القياد إلى أنه يجب وضع حد لتحركاته، فطارت الأخبار لأجل ذلك إلى كل من فرندة ومعسكر[23].

كان الغرنوق قد عاد من رحلته في الغرب نحو الحسينات، فأمضى قرابة عشرة أيام بينهم، وحين اقترب موعد اليوم الذي حدده، وهو الخامس عشر من شهر شوال 1270هـ، قرر الانتقال نحو الشرق. وكان هذا موافقا ليوم 10 ماي 1854، فاجتمع إليه خلق كثير من قبائل متعددة يرجون الذهاب معه، فصار القايد محمد بن علي ينظمهم، ثم سار مع الغرنوق جنبا إلى جنب، وبينهما همس يدل على تقارب كبير. وحدث أن شخصا بدا متخوفا من نتائج هذا الفعل ووصفه بالمتهور فضربه القايد بيده.

وحدد الغرنوق للقايد العناصر التي ستلحق به تحت قيادته هو (القايد) حين يعطيه أمرا بالالتحاق، لكن القايد لم يستطع فعل ذلك حتى لا تفرغ القبيلة من رجالها. لذلك أذن لمجموعة باللحاق بالثوار ومَنَعَ البقية. وكان ممن أعطاهم الإذن بالالتحاق بالشريف قريبه قدور بوبكر.

وانتشر الخبر وشاع بين الناس أن الثوار اتجهوا نحو فرندة بهدف الجهوم على سوقها باعتبار أن الغرنوق كان يجتمع بأنصار المقاومة في لجدار ويريد إعطاء شارة انطلاقها بالهجوم على السوق المذكورة، لكنها بدت له قليلة الأهمية فغير وجهته إلى سوق تيارت[24] حسب اعترافه[25] قبل وفاته للنقيب سيريز، وحسب إقرار جاسوسه بوعلام[26].

وكان قاضي فرندة قد علم من بعض خدمه بأمر الانتفاضة[27] فأخبر الأغا أحمد ولد قاضي[28] الذي أعلم بدوره السلطة العسكرية بمعسكر. كما قام قياد القبائل المجاورة بدورهم كاملا؛ دلة قايد أولاد

23 - Rapports périodiques, Bureaux arabes de Tiaret, ANOM/GGA 36 jj 01
http://anom.archivesnationales.culture.gouv.fr/ark:/61561/jh328oqhoa consulté le 22/08/2020

24- سوق هامة معروفة بسلعها المعروضة ومنها الصوف التي تحدثت عنها جريدة "التقدم" في عددها ليوم 14 ماي 1903 بناء على ما رواه فيه السيد Aumerat حول ذكرياته بتيارت عام 1854، إذ كان يشتري الصوف لصالح شركة آرموند وشركائه بمونبلييي Armand et Cie de Montpellier، كما أشار في تقريره من ناحية أخرى إلى وجود الفهود والأسود بغابات تيارت.
Le Progrès, Journal Républicain de l'Arrondissement d'Orléansville, N 436, 14 mai 1903.

25- يبدو أن محمد الغرنوق رسم خطتين على الأقل حتى يصعب اللحاق به أو اعتراض طريقه، فإذا كانت سوق تيارت وجهة رئيسية فإنّ اعتراض طريق النقيب سيريز كان أكثر أهمية.

26 - Rapports périodiques, Bureaux arabes de Tiaret, ANOM/GGA 36JJ 1
http://anom.archivesnationales.culture.gouv.fr/ark:/61561/jh328oqhoa consulté le 22/08/2020

27 - Rapports périodiques, Bureaux arabes de Mascara, ANOM/GGA 30JJ 330

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

زيان الغرابة، سي خالد بن هوار قايد الغوادي، العربي بن قدور قايد الدهالسة، إضافة إلى القايد سي الكامل بن خالد، إذ أبلغوا الأغا بفرندة، وكتبوا رسالة إلى المكتب العربي بتيارت يطلبون من خلالها وضع حد لهذا التمرد[29].

وتبعا لهذه الأخبار العاجلة انتقل الأغا أحمد ولد قاضي بنفسه إلى الحسينات ليتحقق من الأمر، ومعه 100 فارس، لكن القايد محمد بن علي استطاع تمرير الأمر عليه بادعاء محاولة اللحاق بالغرنوق للقضاء عليه لكنه استطاع الإفلات منه، وموّه القايد أكثر حين جمع 100 من الفرسان ليُظهر للآغا أنه على استعداد تام. وكان ولد قاضي قد أعلم نائب حاكم العمالة على معسكر بما يجري فاختار من الحشم والبرجية 100 فارس بعث بهم تحت قيادة رئيس المكتب العربي يوم 11 ماي، وقد وصلوا إلى فرندة فعلا[30].

---

http://anom.archivesnationales.culture.gouv.fr/ark:/61561/jh328iidke consulté le 15/08/2020

28- أحمد ولد محمد ولد قادي (قاضي) (1805-1885)، من أسرة البحايثية التي تنتمي إلى قبائل الدوایر والزمالة، حضر مع الأمير عبد القادر واقعة تأديب صبيح عندما كان في طريقه إلى المدية وقت التفاهم بينه وبين المخزن (أي قبل اتفاق الكرمة 1835)، ثم تم تنصيبه من قبل فرنسا على قبائل الأحرار وزدامة سنة 1846، ثم أصبح باشاغا على فرندة. وكان له دور كبير جدا في التضييق على المقاومة في هذه الجهة منذ هذه الفترة وحتى قيام ثورة الشيخ بوعمامة (1881). وهو صاحب الكتاب المشهور: "الرحلة القادية في مدح فرنسة وتبصير أهل البادية" الذي نُشر عام 1878.

وأحمد لد قاضي من عائلة توارثت خدمة فرنسا، حيث كان ابنه علي قايد على قبيلة شلاق ثم آغا كاشرو، وابنه الثاني قايد على المحاميد أما ابن أخيه محمد بن سماعيل ولد قادي فكان قايد على الحشم الشراقة. يراجع كل من:

- ابن عودة المزاري، ج1، مرجع سابق، ص ص 123-124

- العربي بوعناني، (2018-2019) المقاومة الشعبية في منطقة تيارت 1830-1908 ومواقف الزعامات القبلية والدينية من الاستعمار الفرنسي. رسالة دكتوراه، جامعة تلمسان، ص 87

- براهيم مهديد، (جانفي- أفريل 1998) الأرستوقراطية التقليدية الوهرانية خلال ق 19م والرأسمالية الاستعمارية؛ إشكالية الاندماج الاجتماعي، إنسانيات، ع 04، ص ص 80-81

- Journal officiel de la république française, 37ème année, N43, 12/02/1905

- Canal. J. (1899). Mustapha ben Ismael, Société de Géographie et d'Archéologie de la province d'Oran, T19, Oran, 1899, p19

29 - Jules Labbé, Op.cit. p268 et suite

30 - Rapports périodiques, Bureaux arabes de Mascara, ANOM/GGA 30JJ 330

http://anom.archivesnationales.culture.gouv.fr/ark:/61561/jh328iidke consulté le 20/08/2020

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

وحل الليل، وما إن سكن الناس حتى خرج القايد محمد بن علي باتجاه تيارت يريد رئيس المكتب العربي حتى يضلل الفرنسيين فلا يعلموا حقيقة علاقته بالشريف. وحين وصل لم يقدم نفسه للموظفين وإنما انتظر دوره، ولم يتحدث في الأمر إلا بعد أن كثرت عليه الأسئلة، فصار يخبرهم بأن هذا الشريف معدم أعمى ولن يفعل شيئا.

كان الغرنوق قد اتجه شرقا في ثلاثين رجلا إلى جبل الناظور، وواضح أن جواسيسه قد سبقوه، وفي نيته مهاجمة النقيب سيريز Cérez مسؤول المكتب العربي بتيارت، وكان حينها عائدا من جبل العمور. كان مع الغرنوق 29 مجاهدا، منهم 06 فرسان، وهم موزعون قبليا كالآتي[31]: الحسينات 12[32]، الغوادي 05، الدهالسة 05، أولاد زيان الغرابة 05، زدامة 01، وأولاد العباس 01.

وكادت هذه الخطة تؤتي أكلها لولا خليفة آغا تيارت محمد بن فراق الذي وصل إلى الحسينات، ولأنه كان متأكدا أن الغرنوق لم يأخذ اتجاه التل وإنما اتجاه الناظور وأولاد خليف قرر البحث عنه في هذه الجهة[33]. فهل كان لأولاد خليف أيضا علاقة بهذه الانتفاضة ؟

أما أحمد ولد القاضي آغا فرندة فالتحق بابن فراق ليباشر البحث معه، وأخبره أنه ألقى القبض على رجلين لهما علاقة بالغرنوق؛ قدور بن سليمان وبغ بن محمد (هكذا وربما اسمه بغداد) وأنه أخذ منهما اعترافا بأن الغرنوق اتجه نحو الشرق، وفي ذلك لومٌ مبطن لقايد الحسينات الذي لم يخبر بما عرف. افترق الأغا والخليفة، حيث عاد الأول إلى فرندة واتجه الثاني، تحت وطأ الرغبة في التأكد من عدم هجوم الغرنوق على تيارت، إلى جبل الناظور لأنه الجبل الوحيد الملائم للاختباء.

---

31 - Rapports périodiques, Bureaux arabes de Mascara, ANOM/GGA 30JJ 330
http://anom.archivesnationales.culture.gouv.fr/ark:/61561/jh328iidke consulté le 20/08/2020

32- جاء في تقرير المكتب العربي بوهران بناء على تقرير نائب حاكم وهران على معسكر أن أخا القايد محمد بن علي كان مع الغرنوق ضمن الجنود الإثني عشر الذين ينتمون إلى الحسينات، لكن لعله قريبه قدور بوبكر باعتبار أنه لم ترد أي إشارة إلى أخ القايد في كل التقارير التي استخدمناها في هذه الدراسة. وما يعزز هذا الطرح هو مساعدة القايد لقريبه المذكور على الهرب، وقد ألقي عليه القبض مجددا عند أولاد بياض.
Division d'Oran / Correspondance avec le Gouverneur général et le 19e corps d'armée à Alger, ANOM/GGA 1JJ 10
http://anom.archivesnationales.culture.gouv.fr/ark:/61561/jh328iccu consulté le 20/08/2020
يُنظر أيضا: Jules Labbé, Op.cit. p273

33 - Rapports périodiques, Bureaux arabes d'Oranie, ANOM/GGA 1JJ 400
http://anom.archivesnationales.culture.gouv.fr/ark:/61561/jh328f141v consulté le 20/08/2020

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

وتقدم بن فراق صوب الناظور، وعلم من بعض أولاد خالد (لعلهم أولاد سيدي خالد؟) أن النقيب سيريز عائد من تاجموت وقد خيّم في سيدي يحيى، فقرر ملاقاته هناك، وحين اقترب رأى رجلا مسرعا يبحث عن مخبأ فأمر بإلقاء القبض عليه، وتبيّن له أنه من أتباع الغرنوق واسمه بوعلام، فشدد عليه حتى اعترف أنه جاسوس الشريف ومهمته مراقبة النقيب سيريز والتأكد من إمكانية مهاجمته، وفهم منه أن الخطة قائمة على الهجوم المذكور ليلا. وأن الغرنوق معتصم بأعلى قمة جبل الناظور[34].

مع اقتراب الليل قرر مسؤول المكتب العربي الذهاب لمفاجأة الغرنوق، ومعه عدد قليل من الجنود إضافة إلى الخليفة المدعوم بمجموعة من الشواش[35]، وكان مبرره في ذلك أن انتظار الدعم مستحيل، وأن الرجوع إلى تيارت سيعطي الغرنوق أهمية كبيرة ويوحي بانتصاره.

لم يكن المكان لتقتحمه الخيول بسهولة، وقد استقبل أتباع الغرنوق العناصر الفرنسية بالرصاص، ورد هؤلاء، فوقع اشتباك عنيف دام ثلاثة أرباع الساعة وأسفر عن إصابة الشريف محمد بن عبد الله برصاصتين في رأسه وإصابة أربعة[36] من أتباعه[37]، وفر من تبقى منهم. أما الفرنسيون فلم تكن خسائرهم أكثر من 02 من الشواش[38]، وقد حال الليل بينهم وبين ملاحقة الثوار.

34 - Rapports périodiques, Bureaux arabes d'Oranie, ANOM/GGA 1JJ 400
http://anom.archivesnationales.culture.gouv.fr/ark:/61561/jh328f141v consulté le 20/08/2020

35- يدعي الفرنسيون أن عدد جنود النقيب كان أقل من عدد الذين مع الغرنوق، وهو 29 حسب إحصاءاتهم هم، فهل يُعقل أن ينتقل النقيب من جبال العمور باتجاه تيارت بعدد أقل من هذا؟ ضف إلى ذلك كل الذين كانوا تحت قيادة الخليفة وساندوه منذ اللحظة التي ألقي فيها القبض على بوعلام ولد براهيم.

36- خمسة حسب المبشر. المرجع السابق، العدد 162

37- حمل تقرير النقيب سيرز اعترافا قويا بعدم دقة ما أعلنه الفرنسيون حول عدد الجرحى في صفوف قوات الغرنوق، حيث إنهم رأوا في البداية 04 رجال يسقطون عن خيولهم، لكنهم لم يجدوا في نهاية المعركة سوى 04 خيول ميتة، بينما فر راكبوها جميعا.

Jules Labbé, Op.cit. p271

38 - Rapports périodiques, Bureaux arabes d'Oranie, ANOM/GGA 1JJ 400
http://anom.archivesnationales.culture.gouv.fr/ark:/61561/jh328f141v consulté le 21/08/2020

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

وحُمل جسد الثائر إلى تيارت فلما بلغوا به ثنية سيدي العابد[39] توفي رحمة الله عليه، فحُزت رأسه وقطعت يداه وأخذت كلها لتُعرض على الناس في السوق ليومين كاملين. وقد كُتب فوقها بالفرنسية:

"ويل للعميان الذين يقودون، وويل للعميان الذين يُقادون"

« Malheur aux aveugles qui conduisent,

Malheur aux aveugles qui sont conduits »

ثم عُهد إلى النقيب سال Saal[40] بملاحقة أتباع الغرنوق، فشرع في البحث عنهم في مغارات الناظور[41]، ونظرا لأن عناصر أولاد زيان الثوار الحاضرين في معركة الناظور لم يتم القبض عليهم كلف قائد القبيلة رجالا بملاحقتهم والبحث عنهم في الجنوب حتى مضارب حميان الغرابة، وبعد أن تم إلقاء القبض عليهم تمت معاقبتهم بإرسالهم إلى فرنسا[42].

7. دور القايد محمد بن علي في انتفاضة الغرنوق:

لطالما رافع الباحثون لصالح بعض القيادات المحلية التي كانت تشتغل تحت مظلة الفرنسيين، ولطالما وجدوا من ينكر عليهم هذه المرافعة. لكن حالة القايد محمد بن علي تقتضي الاعتراف بجهوده المستمرة لصالح الانتفاضة قبل وقوعها وحتى بعده. ولعل ذلك يظهر جليا من خلال الحقد الذي كان يكنه له النقيب سيرز والذي عبر عنه بقوة في تقريره إلى قيادته بتيارت[43].

فالنقيب سيرز يعتب على القايد تكتمه على الانتفاضة وقد صار أمرها معلوما لدى جميع أفراد القبيلة 06 أشهر قبل قيامها، كما يعتب عليه تصرفه عند ذهابه إلى تيارت، وكذا عند مساهمته في البحث عن الثوار إلى جانب خليفة آغا تيارت باعتباره مسؤولا عما حدث في قبيلته. فعوض أن يساعد الفرنسيين راح يوجه البحث بلا جدوى نحو فرندة ولجدار لإبعاد القوات الفرنسية عن جبل الناظور.

39- جبل صغير يقع شمال غرب مدينة السوقر حاليا، يسميه الفرنسيون La montagne carrée. انظر مثلا بيران الذي يسميه سيدي العبد عوض العابد (Sidi El ABD):

R, Perrin, (1960) «Le Sersou. Etude de géographie humaine (Premier article)», Méditerranée, 1ère année, N°2-3, p 61

40- راجع صورته في الملاحق.

41 - Rapports périodiques, Bureaux arabes de Mascara, GGA 30JJ 330

http://anom.archivesnationales.culture.gouv.fr/ark:/61561/jh328iidke consulté le 20/08/2020

42 - Jules Labbé, Op.cit. pp273-274

43 - Jules Labbé, Ibid. p272 et suite

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

توصل المكتب العربي من جهة أخرى إلى أن القايد لم يفرض غرامة واحدة على أهالي القبيلة خلال الأشهر الثلاثة التي سبقت الانتفاضة خوفا من انتقال أصحابها إلى تيارت للشكوى، وهو ما كان سينجر عنه كشف سر الغرنوق. وبعد أن أُعطيت الأوامر بإلقاء القبض على المتورطين تلكأ القايد في تطبيقها حتى سمح لقريبه قدور بن بوبكر بالهرب مدعيا أمام الفرنسيين أنه مات. ولم يُلقِ القبض إلا على شخص واحد كان في الناظور هو منصور بن ساعد، بينما أحضر ثلاثة رجال عوض أخيهم المشارك في الناظور، وكانوا حينها في خيمتهم، أما هدفه من هذا التلاعب فكان تسهيل فرارهم من الفرنسيين.

لذلك كله تم توقيف القايد محمد بتيارت في انتظار قرارات السلطة في شأنه، وتم تكليف شاوش المكتب العربي بن عبد الله ولد محمد ليخلفه على الحسينات[44]، ثم جاء الأمر بتنحية القايد محمد بن علي ومصادرة أملاكه وإرساله إلى فرنسا عقوبةً له على دعمه لمقاومة الغرنوق[45].

8. العقوبات المسلطة على الجزائريين إثر الانتفاضة:

1.8 الحسينات

لجأت فرنسا مباشرة بعد إفشال محاولة الغرنوق إلى إلقاء القبض على كثير من الأهالي، وقام مسؤولو المنطقة بمراسلة السلطات العليا التي من صلاحياتها تحديد العقوبات التي ستطبق على الحسينات وعلى بقية المذنبين.

وبقرار مؤقت من حاكم عمالة وهران[46] لم يعد الحسينات تابعين للأحرار، وتم تفريقهم؛ حيث وُجه قسم منهم إلى أولاد منصور وقسم آخر إلى أولاد مسعود[47] بعيدا عن مضاربهم، حيث أخذوا إلى تيارت ثم تمت تفرقتهم على القبيلتين غرب المدينة وشمالها.

---

44 - Rapports périodiques, Bureaux arabes de Tiaret, GGA 36JJ 1
http://anom.archivesnationales.culture.gouv.fr/ark:/61561/jh328oqhoa consulté le 20/08/2020

45 - Jules Labbé, Op.cit. p274

46 - Rapports périodiques, Bureaux arabes de Tiaret, ANOM/GGA 36JJ 1
http://anom.archivesnationales.culture.gouv.fr/ark:/61561/jh328oqhoa consulté le 20/08/2020

47- أولاد منصور، قبيلة تقع مضاربها شمال تيارت، جهة واد ليلي، وبينها وبين أولاد لكرد حدود، وقد حضر صاحب الرحلة الفرنسي تسويةً تخص حدود هاتين القبيلتين. وأولاد منصور، عرب ينتمون إلى أولاد محمد بن عريف، فروا نحو الجنوب بعد سقوط تاقدمت، ثم طلبوا الأمان وعادوا إلى موطنهم.

- Jules Labbé, Op.cit. p64

- العربي بوعناني، مرجع سابق، ص 83

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

والملفت للنظر أن معاقبة الحسينات اجتماعيا بفصلهم عن بقية الأحرار لم تتأخر، ذلك أن الحديث عنها ورد في هذا التقرير الخاص بشهر جوان 1854، أي شهرا واحدا على الأكثر بعد قيام الانتفاضة. حيث يستخدم التقرير عبارة لا تحتاج إلى تأويل: "وهم الآن مستقرون عند أولاد منصور وأولاد مسعود"!

يواصل التقريرُ الحديثَ عن هذا التفكيك الذي أصاب الحسينات في ظرف عصيب حتى إنهم لم تعد لهم القدرة على مقاومته. يقول التقرير: "إن تنفيذ هذه العقوبة الأولية مر في هدوء. لم يعترض الحسينات على نقلهم بعد تقسيم قبيلتهم لأنهم كانوا ينتظرون عقوبات أكبر".

أما كيفية تنفيذ هذه العقوبة فيرويها لنا الشاهد الذي كان صديقا للنقيب سيريز: "ذات ليلة، على الساعة الحادية عشرة والنصف، توجه المسؤول الأعلى لتيارت ومعه النقيب س... (يقصد سيريز) باتجاه هؤلاء المساكين، متخفِّين تماما تتبعهما فصيلة الصبايحية. كل القبيلة حوصرت ثم جيء بها إلى حيث مدفع تيارت. وفي اليوم الموالي بدأ تنفيذ الحكم؛ ثيران الجناة وأغنامهم أخذت منهم، الغرامة العامة سُددت، وفي الوقت الذي لم يكن العرب يتوقعون عقوبة أقل باشرنا زيارات للخيام بحثا عن البنادق والمسدسات والخناجر، ثم قسمت القبيلة على القبائل المجاورة. وقد سمحت لي هذه الزيارة بمعرفة الحياة العربية عن قرب"[48]

زيادة على هذا كله تقررت فيما بعد عقوبات أخرى قاسية أوردها المرشد الجزائري[49] في العدد 1397 الصادر بتاريخ 10 أفريل 1855. حيث إنه:

"بمقتضى الأمر الصادر في شأن الثقاف (بمعنى الحجز = Séquestration) بتاريخ 31 أكتوبر 1845 وكان وقع من الحسينات وهم فرقة من الأحرار في نواحي معسكر خيانة وفسادا (هكذا) لدخولهم في حزب المفسد الشريف محمد بن عبد الله الغرنوق في سنة 1854 فعند ذلك صدر الأمر الآتي ذكره من سعادة والي الجزائر بعد مشورته مع ديوانه حسبما طلب منه ذلك الجنرال حاكم العمالة الوهرانية..

إعلام

أولاد مسعود، قبيلة تسكن غرب تيارت، جهة تاقدمت، تابعة إداريا آنذاك لبلدية تيارت-آفلو المختلطة.

- Tableau des arrondissements administratifs et des subdivisions militaires des trois départements algériens, 2ème partie ; Répertoire alphabétique des douars et fractions de douars, p22

48 - Jules Labbé, Op.cit. pp 276-277

49 -Le Moniteur algérien, 10 Avril 1855

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

الفصل الأول: قد حصل الثقاف لجميع الأراضي التي هي ملك للحسينات فرقة من الأحرار في سوب ديفيزيون (Subdivision) معسكر، وسنذكر مقدار أراضيهم التي تدخل في ملك الدومين عينا بالجدول المبين أسفله.

الفصل الثاني: إن جميع محصولات تلك الأراضي من دراهم دين وفايدة وكراء ونحو ذلك مما يتعلق بها من تصرفات أربابها يدخل ذلك جميعا لخزانة الدومين.

الفصل الثالث: إن سعادة الجنرال حاكم العمالة الوهرانية هو المتكلف (هكذا) بإنجاز هذا الأمر.

كتب في الجزائر في 12 مارس 1855

وهنا خط يد سعادة والي مملكة الجزائر راندون (Randon) (إمضاؤه) وازد (هكذا) على ذلك تأكيدا كاتب سر المملكة الجزايرية السيد لابين (Lapaine)

وقد وصل في 12 فيبري (فيفري) سنة التاريخ (أي التاريخ المذكور وهو 1854) كتاب بنمر (أي تحت رقم) 124 من سعادة الوزير كاتب سر في الأمور الحربية يتضمن موافقته واستحسانه لهذا الأمر.

هذا جدول أراضي الحسينات فرقة من الأحرار الذين احتوى البايلك على أملاكهم (أي استحوذ عليها) حسبما (هكذا) الأمر السلطاني المؤرخ في 31 أكتوبر 1845 بسبب خيانتهم ودخولهم في حزب الشريف المفسد محمد بن عبد الله الغرنوق.

أسماء الأملاك	نواحيها	صفتها	مقدارها بالإكتار (بالهكتار)
مشطة ثنية الفرادة (بمعنى مشتى)	وطن الحسينات	بعضها حرث وبعضها غيب (أي غير صالحة للزراعة)	750
مشطة ملال الشرقية	كذلك	مثلها	700
مشطة ملال الغربية	كذلك	مثلها	1200
مشطة سيدي عبيد ودير الكاف	كذلك	مثلها	800
مشطة بيت حبيبة وكدية القيمه (هكذا ومن الأصل	كذلك	مثلها	950

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

الفرنسي عرفنا أنها القمح)			
مشطة المشرع وسيدي يحيى	كذلك	مثلها	1250
المجموع			5650

إن هذا الجدول لابد من لحوقه بالأمر الصادر منا كما ذكر أعلاه.

كتب في الجزائر في 12 مارس 1855

وهنا خط سعادة والي المملكة الجزايرية راندون

جدير بالملاحظة أن قبيلة الحسينات عادت إلى مضاربها رسميا مدةً بعد التهجير، بناء على طلب الحاكم العام راندون الذي قدمه لنابليون الثالث[50] والذي يخص إلغاء قرارات الحجز التي مست مجموعة من القبائل الجزائرية. الطلب مؤرخ بـ 12 ماي 1866. ونستدل على هذا الإعفاء بما ورد في النشرة الرسمية للحكومة العامة بالجزائر[51] عام 1895 والتي جاء فيها أن قبيلة الحسينات الصغيرة تم تعيينها بموجب قرار 18 ماي 1893 لتطبيق قانون السيناتوس كونسيلت لعام 1863. محددا موضعها جنوب غرب فرندة على بعد 26 كلم تقريبا.

2.8 آثار الانتفاضة على القيادات الأهلية:

نقل تقرير المكتب العربي بسعيدة[52] إجراءات العقاب التي تم اتخاذها ضد القيادات الأهلية التي تقاعست فلم تنقل الأخبار العامة إلى قيادة المكتب العربي، فقايد الحساسنة الشراقة الحبيب ولد الخمسي عوقب بغرامة مالية قدرها 500 فرنك لعدم إبلاغه عن وجود "الدرويش" محمد بن عبد الله بين أفراد قبيلته، ثم تمت إقالته من المنصب وتعويضه بالغوثي بن عبد القادر.

أما محمد بن عمارة قايد أولاد عوف فعوقب بـ 250 فرنكا لذات الأمر، كما عوقب قايد أولاد سيدي خلف الله (المعاليف) بـ 200 فرنك لأنه رفض تطبيق أوامر السلطة الفرنسية عدة مرات. ومن

50 - Bulletin officiel du gouvernement général de l'Algérie, 6ème année, 1866, Alger, Imprimerie Typographique et Lithographique Bouyer, 1867, p247

51 - Bulletin officiel du gouvernement général de l'Algérie, 35ème année, 1895, Imprimerie administrative GOJOSSO, Alger, 1896, p179

52 - Rapports périodiques, Bureaux arabes de Saida, ANOM/GGA 36JJ 1
anom.archivesnationales.culture.gouv.fr/ark:/61561/jh328lnekn consulté le 18/08/2020

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

بين العقوبات المسلطة على القيادات الأهلية رغم تعاونها مع فرنسا ما حدث لبوزيان ولد منصور قايد أولاد خالد الشراقة الذي أقيل من منصبه لأنه استقبل الثائر حين كان يجوب المنطقة.

وفي مراسلات المكتب العربي بوهران مع الحكومة العامة بمدينة الجزائر[53] نجد خبرا مفاده أن الرائد سال Saal أمر بإلقاء القبض على القياد الذين ينتمي الثوار إلى القبائل التي يشرفون عليها، ويُحتمل احتجاز ممتلكاتهم، كما أُمر قياد الأحرار بالإشراف على تنفيذ أوامر إلقاء القبض الصادرة عن السلطة إثر هذه الأحداث. ولذلك أشاد النقيب سيريز في تقريره بجهود قايد الغوادي الذي طبق أوامر إلقاء القبض بصرامة على كثير من الأفراد منهم ميلود بولنوار الذي كان يوما ما مرشحا لمنصب قايد.

وجاء في تقرير مراسلات المكتب العربي بمعسكر مع الحكومة العامة[54] بمدينة الجزائر أنه تقرر بعث كل القياد إلى مركز الدائرة au chef-lieu de cercle لزرع الحماس فيهم انطلاقا من الفوز الذي تحقق على الغرنوق وأتباعه.

وجاءت في تقرير المكتب العربي لمعسكر[55] إشارة إلى أن كثيرا من القيادات الأهلية، لا سيما القياد، ثبت تواطؤها مع الحاج محمد بن عبد الله بن جلول[56] خصوصا من خلال إيوائه خلال الجولة التي قادته إلى جهات من معسكر وأخرى من سعيدة، وهو ما جعل قيادة المكتب العربي تقترح فصل هذه العناصر.

3.8 آثارها على عموم أهالي المنطقة:

حين انتهت المعركة عمد رئيس المكتب العربي إلى التحقيق[57] الذي أوصله إلى 07 أشخاص أو 08 من صدامة كانوا على علاقة مع الغرنوق. ومن باب البحث عن أصول هذه المقاومة بدأ التحري

53 - Division d'Oran / Correspondance avec le Gouverneur général et le 19e corps d'armée à Alger, ANOM/GGA 1JJ 10
http://anom.archivesnationales.culture.gouv.fr/ark:/61561/jh328iccu consulté le 22/08/2020
54 - Mascara / Correspondance avec le Gouverneur général, ANOM/GGA 34 JJ/6
http://anom.archivesnationales.culture.gouv.fr/ark:/61561/jh328jkdkh consulté le 20/08/2020
55 - Rapports périodiques, Bureaux arabes de Mascara, ANOM/GGA 30JJ 330
http://anom.archivesnationales.culture.gouv.fr/ark:/61561/jh328iidke consulté le 20/08/2020
56- المقصود هو ثائر غريس الذي تحرك في ذات الوقت مع الغرنوق. وقد ورد في بعض التقارير أن اسمه محمد ابن عبد الله بن جلال Ben Djelel
57 - Rapports périodiques, Bureaux arabes de Mascara, GGA 30JJ 330
http://anom.archivesnationales.culture.gouv.fr/ark:/61561/jh328iidke consulté le 20/08/2020

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

عن شخص اسمه سي عبد القادر بن جلول من أولاد سيدي بن حليمة كانت له محاولة سابقة للانتفاضة شبيهة بمحاولة الغرنوق لكنها فشلت، ونفي صاحبها إلى فرنسا، وبيّن التحقيق أنه منذ عودته من فرنسا لم يعد له اهتمام بالسياسة، وأنه بعيد تماما عن انتفاضة الغرنوق، وأنه يقف كل 15 يوما بين يدي الآغا المكلف بحراسته.

لكن تظل قضية الغرنوق ذات تشعبات كثيرة في التل، فقبل أيام من معركة الغرنوق في الناظور ألقي القبض على ثائر آخر من زدامة بثنية الحد يقال له سي أحمد بن مواز، وقد قتله الفرنسيون بعد استنطاقه الذي أقر فيه[58] أنه كان على علاقة بأفراد من[59] زدامة وأولاد شريف وأولاد بو غدو.

وقد جاء في مراسلات الحكومة العامة تأكيد على أن بن مواز أقر قبل موته بأنه مبعوث من قبل عبد القادر بن جلول من زدامة وهو الذي أمضى عدة سنوات في سانت مارغريت لأسباب سياسية، وهو الآن في قبيلته بعد أن عاد من هناك[60]. لكن كيف يقف عبد القادر على الحياد وهو في ذات الوقت يثير أشخاصا آخرين بينهم صِلات قائمة على التوجه الثوري؟

وفي الوقت الذي عمل فيه المرابط على "إثارة الصحراء" قامت حركة مشابهة في جهتي سعيدة ومعسكر[61] من خلال ما حدث في غريس حين تبنى الحاج محمد بن عبد الله بن جلول زعيم الطريقة الدرقاوية دعوة إلى الانتفاضة.

فقبل نهاية شهر أفريل 1854 قام هذا الدرقاوي بجولة لدى قبائل شرق سعيدة تحت ذريعة جمع الزيارة لكن حتما لأجل إثارة الناس، وقد تم استقباله بحفاوة، غير أن موت الغرنوق جعله يعيد حساباته حيث عاد بسرعة إلى بيته وفرق الجموع التي كانت حوله.

---

58 - Rapports périodiques, Bureaux arabes d'Oranie, GGA 1JJ 400
http://anom.archivesnationales.culture.gouv.fr/ark:/61561/jh328f141v consulté le 19/08/2020

59- أولاد بوغدو: يحدها شمالا حلوية وأولاد منصور، شرقا أولاد منصور والعويسات، وغربا وجنوبا أولاد شريف. عند غزو فرنسا للمنطقة لجاءوا إلى قبيلة فليتة، للاحتماء بها لما تمثله من قوة عسكرية بفضل عدد فرسانها ومعاداتها لجيش الاحتلال، وفي 1845 انضموا إلى ثورة الشريف بومعزة، وبعد سقوط الزمالة فروا ناحية الشرق، ثم عادوا إلى ديارهم.
العربي بوعناني، مرجع سابق، ص 83

60 - Division d'Oran / Correspondance avec le Gouverneur général et le 19e corps d'armée à Alger, GGA 1JJ 10
http://anom.archivesnationales.culture.gouv.fr/ark:/61561/jh328iccu consulté le 20/08/2020

61 - Rapports périodiques, Bureaux arabes de Mascara, GGA 30JJ 330
http://anom.archivesnationales.culture.gouv.fr/ark:/61561/jh328iidke consulté le 23/08/2020

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

ورغم هذا الحذر من الحاج محمد عمدت السلطة الفرنسية إلى إلقاء القبض عليه مع مساعده الرئيسي الحاج يحيى بن عز الدين والقاضي سي محمد بن معاشو قاضي المكتب العربي بسعيدة[62] الذي عُدَّ مذنبا مرتين باعتباره موظفا لدى الحكومة الفرنسية. كما أخبر التقرير بأن عقوبات صارمة ستفرض على الأشخاص الذين ثبت تورطهم في هذه الأحداث.

وقد أوصى تقرير المكتب العربي بضرورة إبعاد هذه العناصر الثلاثة "خدمة لمستقبل الهيمنة الفرنسية" لأنهم يمثلون خطرا على حد تعبيره.

هذا وأشار التقرير إلى أن الناس يتظاهرون بأنهم لم يعودوا يبالون بقضية الغرنوق بقدر مبالاتهم بمحاصيلهم الزراعية، ويرددون قصصا يبينون من خلالها أنهم لا يريدون إلحاق الأذى بالفرنسيين، ونبّه تبعا لذلك إلى أنه من الخطأ الاعتقاد بأن هذه الأحداث لم تعد تعني الأهالي، لأن ذلك كله مجرد تمويه.

وكلما استمر التحقيق في قضية الغرنوق توصل الفرنسيون إلى عناصر جديدة، فها هو تقرير المكتب العربي بمعسكر يكشف عن شخصين من معسكر شوهدا بالناظور، واحد منهما من أولاد العباس، وقد اتُخذت الإجراءات اللازمة لإلقاء القبض عليهما إن هما ظهرا في المنطقة من جديد[63].

أما أهل الغرنوق فلم يسلموا، حيث أخذت زوجته ووالدتها إلى النقيب سيريز ليتم استجوابهما[64]. لم يكن سن الوالدة واضحا بينما لم يتعدَّ سن الزوجة الخامسة عشرة. كانت جميلة جدا، عيناها سوداوان تشعّان بريقا. وقد سألت الوالدة النقيب: ماذا تريد منا؟ في إشارة إلى أن الزوجة تتبع زوجها فلا ذنب لها.

62- جاء ذكره في تقرير المكتب العربي لوهران على أنه تأثر بالحاج محمد بن عبد الله بن جلول زعيم درقاوة الذي يقبع في السجن بمعسكر (عند كتابة التقرير طبعا)، وهو ما يتعارض مع ما جاء في تقرير المكتب العربي لمعسكر الذي اعتبره حرا طليقا يجوب جزءا من الجهة الغربية داعيا إلى الثورة ضد الفرنسيين.

Rapports périodiques, Bureaux arabes d'Oranie, GGA 1JJ 400

http://anom.archivesnationales.culture.gouv.fr/ark:/61561/jh328f141v consulté le 18/08/2020

63 - Rapports périodiques, Bureaux arabes de Mascara, GGA 30JJ 330

http://anom.archivesnationales.culture.gouv.fr/ark:/61561/jh328iidke consulté le 20/08/2020

64- تكفل النقيب سال بهذا الاستجواب، وهو الذي كان يمسك بثلاثة من أتباع الغرنوق الذين لم يكونوا معه أصلا في الناظور. يراجع:

- Division d'Oran / Correspondance avec le Gouverneur général et le 19e corps d'armée à Alger, GGA 1JJ 10

http://anom.archivesnationales.culture.gouv.fr/ark:/61561/jh328iccu consulté le 22/08/2020

- Jules Labbé, Op.cit, p275

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

وقد أمر النقيب بالاعتناء بهما في "دار الضياف" التابعة للمكتب العربي بتيارت[65]، وحتى يصل إلى تقصي أدق المعطيات التي تتعلق بمقاومة الغرنوق قرر تزويج أرملته من أحد شواشه، لذلك سأل الوالدة رأيها فردت بالقبول بحجة أن زواجها أصلا لم يدم طويلا. وقد زوجها القاضي فعلا بعد مدة قصيرة من الشاوش بن عبد الله.

وبعد أيام سأل النقيب والدة الأرملة: ماذا كنت لتفعلي بنا لو ظفر بنا الغرنوق؟ فردت بابتسامة رأى فيها "خبث الساحرات" مع حركة تَبيّنَ منها أنها حانقة عليهم تريد لو تسنح لها الفرصة بتعذيبهم![66]

هذا ولم تكتفِ الإدارة الفرنسية بالعقوبات الرهيبة التي طبقت على الجزائريين إثر هذه الانتفاضة بل راحت تمعن في تطبيق التفريق الاجتماعي من خلال إبعاد كثير من الأفراد إلى أراضٍ فرنسية بعيدة.

فتبعا لقرار حاكم عمالة وهران[67] المذكور سابقا تم بعث 12 شخصا إلى وهران بسبب مشاركتهم مع محمد الغرنوق في الانتفاضة، والهدف هو نفيهم إلى سانت مارغريت؛ الحسينات 04، الغوادي 06، الدهالسة 01 وأولاد زيان الغرابة 01.

كما تقرر إبعاد عدة عناصر من زدامة إلى سانت مارغريت بعد أن ثبت تورطها في الأحداث، حسب الرواية الفرنسية كما وردت في تقرير المكتب العربي لمعسكر[68]، والذي ذكر شخصين اثنين: عبد القادر بن زينب وميلود بن سليمان اللذين تم إرسالهما إلى وهران مع أشخاص آخرين من مركز تيارت. ولم يكن هذا سوى إرسال أول يتبعه غيره.

وقد جاء في وثيقة أرشيفية أخرى أن بعض الحسينات بُعث بهم إلى جزيرة سانت مارغريت، أما أولاد زيان الغرابة والغوادي فسُجن بعض أعيانهم بفرنسا[69]، وقد ذكرنا سابقا أن العناصر التي تنتمي

65- رغم حالة عدم الاستقرار التي كانت تشهدها الجزائر في ظل الاستعمار الفرنسي عمل الفرنسيون على التأقلم مع الوضع، والتعرف على المناطق التي يعيشون فيها. فقد كان النقيب سيريز يقصد غابة تيارت لصيد الأسود، ونظرا لاستخدام الأسلحة النارية بكثرة لم تعد هذه الأسود تسكن الغابة المجاورة للمدينة، إما لهروبها وإما لانقراضها!

Le Progrès, Journal Républicain de l'Arrondissement d'Orléansville, Op.cit

66 - Jules Labbé, Op.cit, p275

67 - Rapports périodiques, Bureaux arabes de Tiaret, ANOM/GGA 36JJ 1

http://anom.archivesnationales.culture.gouv.fr/ark:/61561/jh328oqhoa consulté le 22/08/2020

68 - Rapports périodiques, Bureaux arabes de Mascara, ANOM/GGA 30JJ 330

http://anom.archivesnationales.culture.gouv.fr/ark:/61561/jh328iidke consulté le 21/08/2020

69 - ANOM/10H53

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

إلى أولاد زيان وشاركت مع الغرنوق في معركة جبل الناظور تم إرسالها إلى فرنسا بعد أن ألقي القبض عليها.

9. قراءة في انتفاضة الغرنوق[70]:

- تزامنت انتفاضة الغرنوق مع رحلة إلى الجزائر قام بها أحد الفرنسيين هو Jules Labbé الذي كان قريبا من المنطقة المعنية بالانتفاضة، وقد سجل هذه الذكريات مباشرة بعد عودته إلى ليل Lille ابتداء من 01 سبتمبر 1854. ولعله كان الأقرب إلى هذه الأحداث بعد الإدارة الفرنسية[71] طبعا باعتباره صديقا للنقيب سيريز، ولعل هذه الصداقة هي التي تفسر وجود تقرير رسمي في كتاب هذه الرحلة، نقصد تقرير النقيب المذكور إلى قائد دائرة تيارت، وهو الذي استخدمناه في بعض جوانب هذه الدراسة.

وقد نبه هذا المؤلف إلى قضايا كثيرة تهمنا منها قضيتان اثنتان:

أ- لم يكن لهذا الحدث أي أهمية في فرنسا نظرا لانشغال الناس هناك بتطورات حرب القرم

ب- يتهم صاحب الكتاب الغرنوق "بالتعصب الديني المقيت"، ويتهمه أكثر باستغلال **خلافات الأوربيين** لرفع راية الجهاد، ويقصد حرب القرم التي كانت بين روسيا والدولة العثمانية التي ساندتها دول أوربية منها فرنسا حتى صارت طرفا قويا فيها.

ولا يعنينا هذا الاتهام في شيء، فهذا ديدن الفرنسيين، إلا من حيث اتساع أفق المقاومة، حيث إن هذا الاتهام يتحوّل إلى شهادة قوية على وعيها بالبعد الخارجي وضرورة استغلال الظروف الدولية وانشغال فرنسا بها لصالح القضية الوطنية، وهذا في ذاته رد على الخطاب الرسمي الفرنسي الذي عمل دوما على تقزيم رجال المقاومة ونعتهم بأسوأ النعوت حتى صنع منهم صورة نمطية لمشعوذين وطلاب دنيا ومجانين مغامرين يدفعهم التعصب الديني المقيت! بعيدا عن كل انفتاح على العالم الخارجي.

وصاحب الرحلة ذاته[72] ينقل إلينا صورة مشرقة عن الوعي المجتمعي الذي رافق المقاومة، فمحمد بن فراق خليفة آغا تيارت يحدّث الفرنسيين عن بحثه منذ يومين عن ثائر ينعته بالشريف، لكن بلا جدوى، ولا يظنه إلا أعمى الحسينات الذي يتزعم الجهاد منذ أيام مؤكدا لأتباعه أن الفرنسيين

[70]- بمثابة خلاصة للموضوع

71 - Jules Labbé, Op.cit, p11

72- Jules Labbé, Op.cit, p257

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

سيعلنون الحرب على السلطان العثماني. وبغض النظر عن صدق هذه النبوءة أو عدمه فإن دافع تحرك الغرنوق إذًا كان ينبِئ عن بعد نظره حين حدد المعسكر الذي ينبغي أن ينتمي إليه.

- قضية أساسية يفصل فيها تقرير المكتب العربي المشار إليه سابقا، وهي تحرُّكُ الغرنوق باسمه لا باسم غيره، ويؤكد على أن المكتب العربي عمل بجد على الفصل في هذه المسألة من خلال المعلومات التي جمعها والتي لم تقُدْ إلى أي جهة ذات صلة بهذه الأحداث. وهذا إن دل على عفوية المقاومات وقيامها بشكل تلقائي ردا على المحتل الفرنسي فإنه يتعارض مع ما ذكرته تقارير المكاتب العربية التي أكدت وجود زعيمين اثنين لهما علاقة بالمنطقة ونقصد الحاج محمد بن عبد الله ابن جلول وعبد القادر بن جلول.

وفيما يلي اعتراف خطير من النقيب سيرز حول تشعب العلاقات في هذه الانتفاضة: "توصلنا من خلال كل الاستجوابات إلى أن التضحية بمجموعة الأفراد المتعصبين، الذين تم رميهم كحجر تجربة، إنما كانت في إطار حركة واسعة لها امتدادات داخل قبائل كثيرة، وأن انتفاضة جادة كان بإمكانها أن تتبع الهجوم الذي كان مقررا ضدي في الليل لو نجح. وأن الآخرين كانوا متفرجين لكن على استعداد للتحرك"[1]

- يطرح ذات التقرير بعد ذلك سؤالا وجيها: ماذا لو لم يتم القضاء على هذه الحركة في مهدها؟ ثم يجيب منبها السلطات العليا إلى أن الأمر لم يقتصر فقط على قبيلة الحسينات التي ساند أبناؤها كلهم هذه الحركة ولكنه تعدّاها إلى قبائل أخرى كانت على استعداد للانتفاضة مع الغرنوق، مشترطة عليه تحقيق نصر واحد فقط لتلتحق به؛ أولاد زيان، الغوادي، الدهالسة، زدامة، بني لنصار، أولاد سيدي بوزيد، أولاد خالد وأولاد براهيم[2]. لو انتصر الغرنوق لتحركت إذًا قبائل جنوب فرندة كلها ولعرفت المنطقة ثورة عارمة.

أما مقال المرشد الجزائري[3] فلم يُخفِ التخوف الفرنسي من انتشار هذه الحركة بين قبائل الجهة الجنوبية من فرندة مقرا أن بعضا منها مسها تأثير دعوة الغرنوق إلى الانتفاضة، ثم إن كلمةً وردت معزولة في مقال جريدة المبشر[4] حول جاسوس محمد بن عبد الله الغرنوق السيد بوعلام توحي بأبعاد

1- Jules Labbé, Ibid. p271

2- جاء في التقرير اسم قبيلة أخرى هي التاسعة لكنني لم أتمكن من معرفة اسمها نظرا لعدم وضوح الخط.

3- مقال 25-05-1854

4- العدد 162. ماي 1854

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

بأبعاد جديدة للتنظيم والتحضير لهذه الانتفاضة. يقول: "فلما قبضه (هكذا) وأحضره لدى القبطان اعترف على نفسه بذلك وأخبرهم بأنه مبعوث من المفسد المذكور رقاسا (لعلها الرُّقّاصَة) ليخبره بالأحوال" فهل المقصود أنه بُعث من الرُّقّاصَة أم إلى الرُّقّاصَة؟؟؟ إذا كان الأمر كذلك، وفي الحالتين، فإن التنظيم تجاوز الحسينات والأحرار وجهة سعيدة إلى المناطق الجنوبية التي كان قائد المكتب العربي مقيما قريبا منها في جبال العمور لتسيير أمور تدخل ضمن اختصاصه.

لماذا غامرنا باعتماد كلمة "الرُّقّاصَة"؟ لأن هذه الجرائد الفرنسية المشهورة ترتكب أخطاء بارزة وهي تذكر الشخصيات والقبائل والأماكن، سواء في نسخها العربية أو حتى الفرنسية، ومن هنا افترضنا أن هذه الكلمة كتبت خطأً على الشكل الذي أدرجناه أعلاه. ثم لأنه لا معنى في تقديرنا لهذه الكلمة هكذا منعزلةً، فإذا استخدمناها بافتراض مدلول الرُّقّاصَة الواقعة جهة البيّض صار لها معنى له ارتباط بالسياق العام للموضوع.

ولعل فرضيتنا هذه تتعزز حين نتساءل: كيف عرف الغرنوق أن هذا النقيب سيرز سيمر ليلا إلى تيارت من جهة جبل الناظور قادما إليها من جبال العمور لولا فاعلية جهاز التجسس الذي زرعه لجلب أخبار الفرنسيين؟ كما تتعزز الفرضية بتحركات الغرنوق نحو الغرب، قبل انطلاق الانتفاضة، لدى الغوادي والحساسنة وتحديد تاريخ انطلاق المقاومة بالخامس عشر من شهر شوال.

- ولنعد إلى تشديد الفرنسيين للعقوبات التي فرضوها على الحسينات. هل كانوا ليفرضوها لو كانت قضية الغرنوق حدثا عابرا مات صاحبه وتفرق أنصاره؟ إن تشتيتَ الحسينات بتوزيعهم على القبائل المجاورة وحجزَ ممتلكاتهم ومصادرةَ أراضيهم[1] دلالة قطعية على تمكن فكرة الجهاد من أبناء القبيلة ومَن جاورهم، ولهذا عمدت السلطة الفرنسية إلى تخويف القبائل من مصير مشابه لمصير الحسينات إن هي واصلت الانتفاضة أو آوت ثائرا آخر كالغرنوق.

- "عاشت تيارت حالة الطوارئ بعد انتفاضة الغرنوق بشهر كامل حيث ضاعف قائدها عدد مراكز الحراسة، وأعطى أوامر أكثر صرامة. كما ضاعف عدد الدوريات ووجه المدفع صوب ساحة سوق

1- اتبع الفرنسيون هذه السياسة الخطيرة في جهات مختلفة من الجزائر لكنها كانت أشد وضوحا إثر مقاومة المقراني في مجانة وبرج بوعريريج وتوسعها إلى مناطق أخرى واسعة.

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

تيارت التي كان يقصدها كل يوم إثنين ما بين 4000 و5000 من الأهالي... إننا نخشى هجوما كالذي حدث في سيدي بلعباس في 1845[1]، خصوصا وأن جزءا من جيش إفريقيا اتجه نحو المشرق"[2]

نشير أخيرا إلى أن تقرير De Lormel[3] حول الحجز المطبق على الحسينات والمؤرخ في 08 جانفي 1855 حمل في مادته الأولى تشديدا رهيبا حيث أقر بأن "الحجز يمس كل الأراضي التي يملكها الأهالي في قبيلة الحسينات التي هي فرع من الأحرار". أما في مادته الثانية فتطرق إلى كل المنافع المحتمل حصولها من وراء هذه الأرض، والتي أقر بعودتها جميعا إلى خزينة السلطة الفرنسية غير مبالٍ بالوضعية المزرية التي آل إليها الحسينات خصوصا بعد أن تمت تفرقتهم على القبائل.

1- يقصد عبد الرحمن الطوطي الذي كان له اتصال بالحاج محمد بن عبد المومن جهة الريف ومولاي العربي ابن عطية بالونشريس. وبعد تنسيق مع الأغا عبد القادر ولد الزين تم إيصال معلومات مغلوطة للقائد الفرنسي Vinoy لإبعاده عن مركز الثكنة (البرج) جهة سيدي بلعباس. وفي 30 جانفي 1845 هجم الطوطي ومعه 66 شخصا على البرج المذكور وقتلوا بعض العسكر فيه، غير أن قوة فرنسية استطاعت التدخل وتم القضاء على الطوطي وجماعته، وكانت هذه النتيجة المؤلمة بسبب خيانة من شخص ما.
كمال بن صحراوي، مرجع سابق، ص 116
وهذا ما كتبه صاحب القول الأوسط عن هذه الحادثة: "وقام عبد الرحمن الطوطي العامري بفقرائه في العام المذكور على الفرنسيس ببلعباس يوم الخميس، وكان ذلك يوم السوق فلم يفده شيئا وكان مآله هو ومن معه القتل"
عبد الرحمن الشقراني، (2013) القول الأوسط في أخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط. الجزائر، تحقيق ناصر الدين سعيدوني، الجزائر ، ص 26

2 - Jules Labbé, Op.cit. p265

ويقصد بالمشرق المشاركة فى حرب القرم

3 - Rapporteur Delormel. (Séance du 8 janvier 1855) Régularisation du séquestre apposé sur les biens des Hassinat (cercle de Tiaret). Dossier n° 3844.
http://anom.archivesnationales.culture.gouv.fr/osd/?dossier=/collection/INVENTAIRES/Algerie/ANOM/GGA/F/&first=ANOM/GGA3F_035/FRANOM25_ANOM/GGA3F_035_0019&last=ANOM/GGA3F_035/FRANOM25_ANOM/GGA3F_035_0020&title=Rapporteur+Delormel.+R%C3%A9gularisation+du+s%C3%A9questre+appos%C3%A9+sur+les+biens+des+Hassinat+(cercle+de+Tiaret).+Dossier+n%C2%B0+3844.+S%C3%A9ance+du+8+janvier+1855
consulté le 20/08/2020

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

وفكرة استفادة الفرنسيين من هذه الأحداث يدعمها تقرير المكتب العربي لسعيدة حين يشير إلى أن الانتفاضة كانت ذات فائدة عليهم "لأن العرب يعيشون حالة نفسية رهيبة يميزها التفكير المستمر في العقوبات التي ستسلط عليهم بسبب مشاركتهم مع الغرنوق"[1].

- تكريم الموظفين الذين ساهموا في القضاء على ثورة الغرنوق، فقد أعلن le Moniteur de l'armée[2] يوم 16 جوان 1854 في عدده الرابع والثلاثين أن خليفة آغا تيارت محمد بن فراق تم تكريمه فأصبح عضوا في جوقة الشرف، والواقع أن هذا التكريم لم يتأخر كثيرا حيث نال هذا الخليفة الدرجة العالية المذكورة في 06 جوان أي بعد حوالي 24 يوما فقط من وقوع معركة الناظور، وهذا من باب تحفيز القيادات المحلية حتى تبذل جهدا أكبر. كما تم تكريم النقيب سيريز مسؤول المكتب العربي بتيارت فنال ذات المرتبة، وتم الاعتناء بجهود الشواش الذين حضروا المعركة فحصل اثنان منهم على الميدالية العسكرية[3].

ومحمد بن فراق واحد من المخلصين للإدارة الفرنسية. ولد عام 1822 بمستغانم لكنه ينتمي إلى عائلة كبيرة ومتنفذة من البرجية[4]، وبدأ الخدمة لديها وعمره 20 سنة كما شُهد له بذلك في سجلات قوانين الجمهورية الصادرة في 1855، وكان الاهتمام به لأنه تميز بصفة خاصة يوم 12 ماي 1854 في أحداث جبل الناظور ضد شريف الحسينات[5].

وقد تدرج محمد بن فراق في المسؤوليات حيث بدأت علاقاته بالفرنسيين بمستغانم بانتمائه إلى المكتب العربي، ثم عُين خليفة آغا تيارت إلى غاية تسميته قايد على أولاد سيدي دحو في بني شقران ابتداء من 22 جانفي 1859 ثم صار آغا على بني شقران منذ 14 جوان 1859[6].

1 - Rapports périodiques, Bureaux arabes de Saida, ANOM/GGA 36JJ 1
anom.archivesnationales.culture.gouv.fr/ark:/61561/jh328lnekn consulté le 18/08/2020
2 - le Moniteur de l'armée, N°34, le 16 juin 1854
3 - Jules Labbé, Op.cit. p11
4 - L'Algérie photographiée, (sans date) publication nationale, sous les auspices de S.E le Ministre de la guerre, Paris, p21
5 - Bulletin des lois de l'empire français, 6ème série, Partie supplémentaire, Tome quatrième, 1854, Paris, Janvier, 1855, p432
6 - Subdivision de Mascara, Personnel 1846-1876, ANOM/GGA 34JJ 25
http://anom.archivesnationales.culture.gouv.fr/ark:/61561/jh328z0u1b consulté le 21/08/2020

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

- الاستحواذ على متاع الغرنوق: حين تم نقل جثمان الثائر الغرنوق نحو تيارت قام 03 أشخاص من أولاد عزيز بإخفاء الخواتم التي كانت بيده، ثم اعترفوا وأعادوها، وتمت معاقبة كل منهم بغرامة مالية تساوي 100 فرنك[1]. وربما لم يكن دافع هؤلاء الأشخاص هو السرقة بقدر ما كان تهريب ما له علاقة بالغرنوق حتى لا يبقى بيد الفرنسيين.

غير أن الفرنسيين الذين عاقبوا هؤلاء الثلاثة استحوذوا فيما بعد على كل متاع الغرنوق وأصحابه بل وزجته أيضا، ولم يُخفوا هذا الفعل بل تباهوا به ونشره أحدهم[2] قائلا: "رمح الغرنوق أرسلت إلى الجنرال بيليسيي Péllissier ومسبحته إلى الكولونيل دوريو Durrieu ونقلتُ أنا شخصيا إلى السيد الكولونيل كولون Coulon بباريس علبة تحوي بعض غنائم هذه القضية. وإلى السيد الكلونيل ريدويل Ridouel بمعسكر بولون camp de Boulogne قلادة المرأة (يقصد زوجة الغرنوق). وقد منحني حاكم دائرة تيارت، من باب الذكرى، الخاتم الذي كان المرابط يلبسه ويُعرف به في القبائل (يقصد الثائر الغرنوق)، أما النقيب سيريز فأعطاني سيفا غريبا كان لدى أحد القتلى بعد المناوشة، فهو مزين من قبل درقاوة على الطريقة الشرقية، ومعه سيف فرنسي قديم".

1- Rapports périodiques, Bureaux arabes de Tiaret, ANOM/GGA 36JJ 1
http://anom.archivesnationales.culture.gouv.fr/ark:/61561/jh328oqhoa consulté le 19/08/2020
2 - Jules Labbé, Op.cit. p277

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

ملحق 01: خريطة تمثل توزيع القبائل الجزائرية في المنطقة المعنية بالدراسة عام 1846. [1]

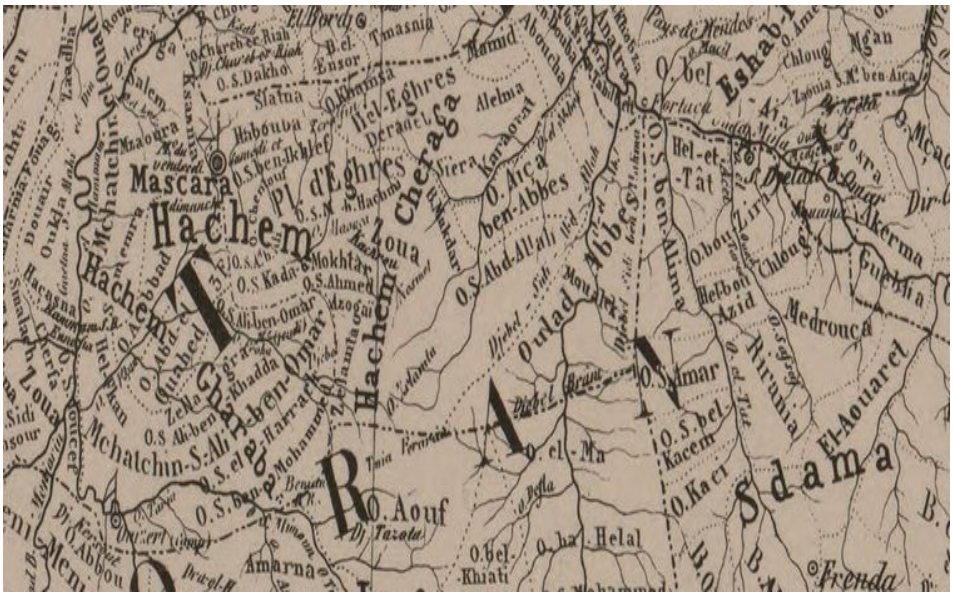

1 - Carte de l'Algérie : divisée par tribus, 1846, Lybrary of Congress.
https://www.loc.gov/resource/g8241e.ct003442/?r=-0.586,-0.161,2.173,0.912,0 consulté le 20/08/2020

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

الملحق 2 : صورة النقيب سيريز[1]

1 - http://www.military-photos.com/cerez.htm consulté le 20/08/2020

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

الملحق 3: صورة محمد بن فراق خليفة آغا تيارت[1]

1 - Moulin, Félix Jacques Antoine, (sans date) L'Algérie photographiée : Province d'Oran, p 190

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

الملحق 4: صورة النقيب[1] Saal

[1] - Moulin, Félix Jacques Antoine, (sans date) L'Algérie photographiée : Province d'Oran, p181

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

البيبليوغرافيا العربية:

I. المصادر:

1-ابن عودة المزاري، (2009) طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تحقيق ودراسة يحيى بوعزيز، ج 2، الجزائر: دار البصائر للنشر والتوزيع، طبعة خاصة

2- عبد الرحمن الشقراني، (2013) القول الأوسط في أخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط. الجزائر، تحقيق ناصر الدين سعيدوني، الجزائر

II. المراجع:

- كمال بن صحراوي، (2020) معجم المقاومة الجزائرية (1830-1850) عمّان: ألفادوك

III. الرسائل الجامعية:

- العربي بوعناني، (2018-2019) المقاومة الشعبية في منطقة تيارت 1830-1908 ومواقف الزعامات القبلية والدينية من الاستعمار الفرنسي. رسالة دكتوراه، جامعة تلمسان

IV. المقالات:

- براهيم مهديد، (جانفي- أفريل 1998) الأرستوقراطية التقليدية الوهرانية خلال ق 19م والرأسمالية الاستعمارية؛ إشكالية الاندماج الاجتماعي، إنسانيات، ع 04

V. الجرائد

1-المبشر، ورود الأخبار من جميع الأقطار، العدد 162، 30 ماي 1854

2- وكالة الأنباء الجزائرية

http://www.aps.dz/ar/regions/66581-2019-02-05-16-44-57

البيبليوغرافيا الأجنبية:

I. Archives :

1- Rapports périodiques, Bureaux arabes d'Oranie
ANOM/GGA 1JJ 400
http://anom.archivesnationales.culture.gouv.fr/ark:/61561/jh328f141v
2- Rapports périodiques, Bureaux arabes de Mascara
ANOM/GGA 30JJ 330
http://anom.archivesnationales.culture.gouv.fr/ark:/61561/jh328iidke
3- Rapports périodiques, Bureaux arabes de Saida
ANOM/GGA 36JJ 1
anom.archivesnationales.culture.gouv.fr/ark:/61561/jh328lnekn
4- Rapports périodiques, Bureaux arabes de Tiaret
ANOM/GGA 36 jj 01
http://anom.archivesnationales.culture.gouv.fr/ark:/61561/jh328oqhoa

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

5- Division Oran / Correspondance avec le Gouverneur général et le 19e corps d'armée à Alger
GGA 1JJ 10
http://anom.archivesnationales.culture.gouv.fr/ark:/61561/jh328iccu
6- Mascara / Correspondance avec le Gouverneur général
ANOM/GGA 34 JJ/6
http://anom.archivesnationales.culture.gouv.fr/ark:/61561/jh328jkdkh
7- Subdivision de Mascara, Personnel 1846-1876
ANOM/GGA 34JJ 25
http://anom.archivesnationales.culture.gouv.fr/ark:/61561/jh328z0u1b
8- ANOM/10H53
9- Carte de l'Algérie : divisée par tribus, 1846, Lybrary of Congress.
https://www.loc.gov/resource/g8241e.ct003442/?r=-0.586,-0.161,2.173,0.912,0

II. Ouvrage :

1- Bulletin des lois de l'empire français, 6ème série, Partie supplémentaire, Tome quatrième, 1854, Paris, Janvier, 1855
2- Bulletin officiel du gouvernement général de l'Algérie, 35ème année, 1895, Imprimerie administrative GOJOSSO, Alger, 1896
3- Bulletin officiel du gouvernement général de l'Algérie, 6ème année, 1866, Alger, Imprimerie Typographique et Lithographique Bouyer, 1867
4- Canal. J. (1899) Mustapha ben Ismael, Société de Géographie et d'Archéologie de la province d'Oran, T19, Oran
5- Carette, E, (sans date) Origines et migrations des principales tribus de l'Algérie, Paris, Imprimerie Impériale
6- Fabre, (1902) «Monographie de la commune mixte indigène de Tiaret-Aflou», Société de Géographie et d'Archéologie de la province d'Oran, T 22
7- Jules Labbé, (1865) Un mois dans le Sahara, Lille
8- L'Algérie photographiée, (sans date) publication nationale, sous les auspices de S.E le Ministre de la guerre, Paris.
9- Martinval, (E. de), (1847) Bou-Maza, scheriff des Ouled-Yonnes, prisonnier des Français, Notice biographique, Paris, Imprimerie de Bautruche
10- Moulin, Félix Jacques Antoine, (sans date), L'Algérie photographiée : Province d'Oran, p 190

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

11- Perrin, R, (1960), «Le Sersou. Etude de géographie humaine (Premier article)», Méditerranée, 1ère année, N°2-3
12- Rapporteur Delormel. (Séance du 8 janvier 1855), Régularisation du séquestre apposé sur les biens des Hassinat (cercle de Tiaret). Dossier n° 3844.
http://anom.archivesnationales.culture.gouv.fr/osd/?dossier=/collection/INVENTAIRES/Algerie/ANOM/GGA/F/&first=ANOM/GGA3F_035/FRANOM25_ANOM/GGA3F_035_0019&last=ANOM/GGA3F_035/FRANOM25_ANOM/GGA3F_035_0020&title=Rapporteur+Delormel.+R%C3%A9gularisation+du+s%C3%A9questre+appos%C3%A9+sur+les+biens+des+Hassinat+(cercle+de+Tiaret).+Dossier+n%C2%B0+3844.+S%C3%A9ance+du+8+janvier+1855
13- Robin, (1870), Histoire d'un Cherif de la Grande Kabylie

III. Dictionnaire :

1- Dictionnaire des communes de l'Algérie, villes, villages, hameaux, douars, postes militaires, bordjs, oasis, caravansérails, mines, carrières, sources thermales et minérales, Alger, Pierre Fontana, 1903
2 - Tableau des arrondissements administratifs et des subdivisions militaires des trois départements algériens, 2ème partie ; Répertoire alphabétique des douars et fractions de douars

IV. Journaux :

1- Le Moniteur Algérien, N 1334, 25 Mai 1854
2- Le Progrès, Journal Républicain de l'Arrondissement d'Orléansville, N 436, 14 mai 1903.
3- Journal officiel de la république française, 37ème année, N43, 12/02/1905
4- le Moniteur de l'armée, N°34, le 16 juin 1854